

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 00958 4826



٥

الف
عام

B

ID

مكتبة جامعة الأزهر
للتشريع والتأليف
المؤلف
محمد عابد

الدعوة إلى الإصلاح

BP
160
H95x
1927

بقلم

السيد

محمد الخضر حسنين

من علماء الجامع الأزهر بالقاهرة

وجامع الزيتون بتونس

القاهرة

١٣٤٦ = ١٩٢٧ م

المطبعة السلفية - ومكتبتها

لصاحبها : مكتبه للطباعة فنون

EGAO99-B1003

مقالات أم فضول
الجزء ٤٧



25.0
317

51327

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رفع منازل العلماء المصلحين ، وأعلى
كلماتهم في نفوس قوم مخلصين * والصلاة والسلام على من
أبلغ فرائض هذا الدين وسننه ، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة
والموعظة الحسنة * ثم الرضا عن آله وصحبه الذين أخرجوا
للناس في أحسن تقويم ، وهدوا الأمم بالحجة والإسلوب
الحكيم

مقدمة

يبحث الكتاب عن العلل التي لبست الامم الاسلامية
وقعدت بها في خمول ، حتى ضربت عليها الدول الغريبة
بهذه الساطة الفاشمة ؛ ويوردون في نتيجة بحثهم اسبابا شتى .
وانت اذا تدبرت هذه الاسباب وجدت السبب الحق منها
يرجع الى تهاون هذه الامم بتعاليم الشريعة ، ونكث أيديهم
من المشروعات التي عهدت اليهم بالقيام عليها . والعلة في
ضعف همهم وقلة إقبالهم على ما أرشد اليه القرآن - من
وجوه الاصلاح ووسائل المنعة والعزة - انما هي تقصيرهم
في التواصي بالحق ، وعدم استقامة زعمائهم على طريقة
الدعوة والارشاد

هذا ما استثار الهمة ، وأخذ برأس القلم يجره الى
البحث في مشروع الدعوة الى الاصلاح لعله يبسط من
حقائقه وآدابه جملا كافية ، ويملك بتأييد الله زمامه

الفصل الأول

الحاجة الى الدعوة

في فطرة الانسان قوة يعقل بها طرق الصلاح والفساد ، ويفقه بها الحق والباطل . ولكن هذه القوة العاقلة لا تستقل وحدها بتمييز المعروف من المنكر ، وليس من شأنها أن تطلع على كل حقيقة ، ولا أن تدبر أعمال البشر على نظام لا عرج فيه ؛ فانها - وان بلغت في الادراك أشدها - قد تنبو عن الحق ، ويعزب عنها وجه المصلحة ، ولا تهتدي الى عاقبة العمل ؛ وربما ألقت على الحسنة نظرة عيجلى فتحسبها سيئة ، وقد يترأى لها الشر في شبه من الخير فتتلقاه بالقبول

وقد تصدى رجال من أصحاب هذه القوى العاقلة للبحث في نشأة الخليقة ، فكانت عاقبة بحثهم أن خروا للاحجار أو الكواكب أو الحيوان سجدا . وتصدى آخرون لانشاء نظم اجتماعية ، فوضعوا ما يذهب بالجماعة

في غير طريق ، ويكبوها في خسار ، وأمثلة هؤلاء مشهودة
 حديثا ، ومضروبة في كتب التاريخ قديما . وليس القانون
 الذي يسيغ المقاتلة الشخصية (المبارزة) إلا صنع نفس عريقة في
 الهمجية ، وليس القانون الذي يساعد الفتيات على إراقة ماء
 الحياء والعزة من وجوههن والزهد في صيانة أعراضهن إلا
 وليد عقل غمرته الغباوة أو حفت به الشهوات من كل ناحية .
 وأراد ذو عقل كبير - وهو الحجاج بن يوسف - معاقبة
 شخص على جريمة ارتكبها بعض ذوي قرابته ، فدافعه بقوله
 تعالى « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » ، فما كان إلا أن
 استمع للآية وارتعوى

واذا وقف صاحب القوة العاقلة على وجه الخير أو الشر
 فقد يساوره الغضب ، أو تسيطر عليه اللذة ، فيترك الصالح
 أو يأتي المنكر ، ولا يبالي بما يوقعه فيه التهاون بالصالحات
 أو ارتكاب المنكرات من شقاء بعيد

وقد تخلص النفوس من تخبط الغضب أو أسر الشهوات
 ثم لا يستطيع أصحابها البقاء دون أن ينشب بينهم نزاع ، فإن

المدارك تتفاوت إما بحسب فطرتها وإما بالنظر الى استعدادها المكتسب من التجارب ، فترى الرجل يستحسن عين ما يستقبحه غيره ، بل النفس الواحدة قد يبدو لها الامر حسنا في حال ، فان لم يوافق غرضها في وقت آخر انقلب في رأيها شيئا نكراً . وكثيراً ما يشتمل الامر في الواقع على وجهي الائم والمنفعة ، فيريد بعضهم جلب منفعته فيسعى في تقريره ، ويرغب آخر في درء مفسدته فيلوي عنه صفيحاً . وربما يشاهد الانسان الحادثة تنزل بغيره فيقضي عليها برأي ، ولو عرضت له في نفسه وأدرك مقدار تأثيرها لعاد الى الحكم عليها بأشد مما قضى به أولاً أو أدنى

ولما كانت الانظار تقصر ، والاهواء تغلب ، والعقول تتفاوت وتختلف ؛ اشتدَّت حاجة الناس الى مصلح الهى يطلق نفوسهم من قيود الاوهام ، ويهديهم السبيل الى مافيه خير ، وينذرهم عاقبة الانهماك في اللذائذ ، ويعلمهم كيف يتحامون الفتنة اذا اختلفوا

هذا وجه من حكمة بعثة الانبياء عليهم السلام ،

وصعدوهم بالناس الى مراقي السعادة ، واقامتهم القضاء على
أسس عادلة

فهذه الدعوة الالهية لبست النفوس أدباً ضافياً ، وأخذ
الاجتماع سُنّة منتظمة ، وبصرت العقول بمقائق كانت غامضة
واذا كان للشرائع السماوية مزية تقويم النفوس ، وانارة
البصائر ، وفتح طرق الحكمة ؛ فان نصيب الاسلام من
هذه المزية أوفر وأجلى

وما برح الناس - بعد انطواء عهد النبوة - في حاجة
الى من يعلمهم اذا جهلوا ، ويذكّرهم اذا نسوا ، ويجادلهم اذا
ضلوا ، ويكفّ بأسهم اذا أضلوا . واذا سهل عليك أن تعلم
الجاهل وتذكّر الناسي فان جدال الضالّ وكفّ بأس المضلّ
لا يستطيعهما الا ذو بصيرة وحكمة وبيان

وما برحت العصور تلد من الضالين المعاندين ، والمضلين
المخادعين ، من يحاولون إثارة الفتن ، واطلاق النفوس من
قيد الأدب والعفاف ؛ وفي كل عصر لا يفقد هؤلاء أولى عزم
واخلاص يقرعونهم بالحجة ، ويهتكون الستار عن مكائدهم ؛

فيزهق باطلهم ، وترهق وجوههم قفرة الخيبة والخذلان
 ولا تنس أن المضلين المخادعين في هذا العصر قد تهيأ
 لهم من وسائل الدعاية ما لم يتهيأ لآخوانهم الغابرين : فمن نواذ
 تفتح ، وصحف تنشر ، وجمعيات تعقد ، وأموال تنفق ،
 وجاه يبذل ، وسلطات تماليء وتستبد ؛ وهذا ما يجعل الدعوة
 الرشيدة من أفضل الواجبات وأحمد المساعي ، وهذا ما يقضي
 على حكماء الامة بأن يعدوا للدعوة ما استطاعوا من قوة ،
 ويكسروا شوكة هذه النفوس المحشوة بالغواية والشهوات ،
 قبل أن تبلغ أمنيتهن . وهناك طائفة لم تفسق عن جحود وتمرّد ،
 وإنما أتيت من قبل الجهل وعدم صفاء البصيرة ، فوضعت
 بجانب حقائق الاسلام ما يتبرأ منه الاسلام ؛ ومن أيدي
 هؤلاء نزلت البدع ، ومن ألسنتهم هبطت المزاعم
 والخرافات ، ومن آرائهم دخل في الكتاب والسنة ضرب
 من سوء التأويل . وحاجتنا الى تقويم أصحاب هذه البدع
 تضاهي حاجتنا الى انقاذ النفوس الزاكية من أن تقع في حبائل
 أولئك الذين يضلون عن سبيل الحياة الطيبة ويغونها عوجا

الفصل الثاني

الدعوة في نظر الاسلام

للدعوة الاثر الكبير في فلاح الامم وتسابقها في مضمار الحياة الزاهرة ، وهذا ما يجعلها بالمكانة السامية في نظر الشارع الحكيم ، وقد ألقى عليها الاسلام عناية شديدة فعهد الى الامة بأن تقوم طائفة منها على الدعاء الى الخير ، وإسداء النصيحة للأفراد والجماعات . قال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون »

فالآية ناطقة بان الدعاء الى الخير ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فريضة ملقاة على رقاب الامة ، لا تخلص من عهدتها حتى تؤديها طائفة على النحو الذي هو أبلغ أثراً في استجابة الدعوة وامثال الاوامر واجتناب النواهي . والدعوة الى الخير - كسائر فروع الكفاية - يوجه خطابها الى الامة بقصد إفهامهم وإعلامهم . ومناطق التكليف

والالزام إنما هو طائفة يتفق أهل الحل والعقد على تعيينها ،
أو تتقدم اليه من تلقاء نفسها

وإذا قلنا ان الخطاب بفرض الكفاية والاعلام به
يتوجهان الى الامة ، فانما نريد من الامة القادرين على القيام
به خاصة ، وهؤلاء هم الذين تحقق عليهم كلمة العذاب حيث لا
تنهض به طائفة منهم ، فلا جناح على من لا يستطيع الدعاء
الى خير أو الدفاع عن حق اذا سكت المستطيعون اليه سبيلاً .
ولو ضل قوم عن سبيل الخير أو جهلوا معروفاً أو ركبوا
منكراً ، وقامت طائفة تدعوهم أو تأمرهم أو تنهاهم بأسلوب
ليس من شأنه التأثير على أمثالهم ، لبقيت هذه الفريضة
ملزمة في أعناق الذين يستطيعون أن ينفذوا بأمرهم الى
نفوس الطوائف ، ويصوغوا إرشادهم وموعظاتهم على الطرز
الذي تألفه نفوس الطائفة التي يحاورونها

وليست القدرة على الدعوة في قوتي الحجة والبيان
وحدهما ، بل تأخذ معهما كل ما يتوقف عليه إقامة الدعوة ،
كوسائل نشرها في بيئته نفقت فيها سوق الفسوق أو خفقت

فيها ربح الاتحاد ، فهذه الفئة الموعز اليها بالدعاية الى غير هدى
 وغير أدب قد ملكت لنشر باطلها وسائل أهمها الاتفاق ؛
 واذا وجب على الامة أن تميّط أذى هذه الدعاية عن
 طريقها فخطاب هذا الواجب يتوجه الى الكتاب والخطباء ،
 ثم الى كل من له شيء من القدرة على البذل في سبيل الدعوة
 كفتح نوادر لالقاء المحاضرات ، وانشاء صحف أو مساعدة
 صحف تظاهر الدعوة باخلاص

رفع كتابُ الله منزلةَ القائمين على خطة الارشاد ،
 ومن آياته المحكمات قوله تعالى « كنتم خير أمةٍ أُخرجت
 للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »
 فلاية توميء الى أن المخاطبين بها يفضلون على سائر
 الامم ، وانما نالوا هذه الافضالية بمزية الامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر والايمان بالله . ومن يطلق النظر فيما
 يتجشمه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من
 أخطار ، وما يلاقونه من أذى ؛ ثم لا يلوون أعنتهم الى
 راحة ، ولا يحملون أنفسهم على مصانعة أو إغضاء ؛ يدرف

أن هنالك بصائر ساطعة ، وعزائم متوقدة ، وهما ينحط
أمامها كل عظيم . أفلا يكون الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر خير أمة أخرجت للناس ؟

نوه التنزيل بشأن المصلحين ، ثم أنحى باللعة على من
يؤتون الحكمة ولا يسطون ألسنتهم ببيانها ، فقال تعالى
« إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من اليبينات والهدى من بعد
ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون » . فالآية نزلت في وصف حال فريق من غير
المسلمين ؛ ولكن حكمها — وهو استحقاق اللعن — لا
يقف عند حدتهم ، بل يجري على كل من درس آيات الله أو
قبض قبضة من أثر هدايته ، ثم أمسك عن بيانها والناس
في جهالة أو حيرة يتخبطون . وكذلك يقول علماء الأصول :
إن مقتبس الأحكام من الآيات لا يقتصر على سبب
نزولها بل يمشي في تقرير معانيها على قدر ما يسهه عموم
لفظها

الحقائق التي لا يسوغ كتمانها هي ما ينبني على العلم

به أثر في صحة اعتقاد، أو أدب نفس، أو استقامة عمل،
 فان كانت من قبيل ماهو من مُلح العلم فلا حرج عليه في
 احتكارها والسكوت عن بيانها. حكى الشيخ ابن عرفة في
 درس تفسيره أنه دخل على شيخه ابن الحباب وجعل ينظر
 في كتبه، فنهه من استيفاء النظر فيها وقال له: للشيخ أن
 يمتاز عن طلبته بزيادات لا يخبرهم بها

وعمد بعض الناس لعهد الصديق رضي الله عنه الى قوله
 تعالى «عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم» فتأوله
 على غير صواب، فقام الصديق خطيباً وقال: انكم تقرأون
 هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم» وتضمنوها في
 غير موضعها، واني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن
 الناس اذا رأوا المنكر ولم ينكروه يوشك أن يعمهم الله
 بعقاب»

ولم ينقطع أثر ذلك التأويل الخاطيء، فظل في أوهام
 بعض العامة الى هذا العهد، حتى اذا أمرت أحد هؤلاء
 بمعروف أو نهية عن منكر ألقى عليك الآية كالمستشهد بها

على أنك تخطيت حدك ، ورميت بكلامك في فضول .
وممنهم من يتلوها على قصد الاعتذار وقبرثة جانبه من اللاتمة
متى شهد منكراً ولم يغيره بيده أو لسانه أو قلبه الذي من
أمارات تغييره البعد عن مكان الواقعة المنكرة

ومعنى الآية الذي تطابق به غيرها من الآيات
الآمرة بالدعوة : انكم اذا استقمتم كما أمرتم ، وقضيتم
الواجبات التي من جملتها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
فلا يضركم من اشتد به هواه ، وتطوَّح به في واد من
الغواية

ولا تقدّر الدعوة الواجبة بعدد ، أو تضبط بقدر من
الزمن اذا قضاه الداعي برىء من عهدها ، وانما يرجع في
إبلاغها واستئنافها مرة بعد أخرى الى اجتهاد الداعي ورجائه
تأثيرها وأخذها في نفوس المدعوين مأخذ القبول
واذا دعا العالم طائفة الى اصلاح شأن من شئونهم ،
فعتوا عن أمره واستكبروا عن اجابته ، حتى أيس من اقبالهم
على نصيحته واستيقن عدم الفائدة من تذكيرهم ، خلصت

ذمته ، ولا جناح عليه أن يقف عند هذه الغاية . وحمل
 بعض المفسرين مفهوم الشرط في قوله تعالى « فذكر ان
 نفع الذكرى » على مثل هذا الحال ، وبيان هذا التأويل
 انك اذا قت بذكري قوم على الوجه الاكمل ، ولم ينتفعوا
 بالذكرى وتمادوا على غوايتهم ، فقد قضيت حق الدعوة ، ولا
 عليك في أن تصرف عنهم نظرك ، وتدعهم الى أيام الله
 ولا يقطع الداعي بعدم نفع الذكرى ، وضاعها
 كصيحة في فلاة ، الا اذا وجه بخطابها الى قوم معينين مرة
 بعد أخرى حتى عجم عيذانهم وكان على ثقة مما انطوت عليه
 نفوسهم من التقليد في الباطل ، وانكار الحقيقة في أي
 صورة ظهرت

اما من دأبه النصيحة العامة — كخطباء المنابر وأرباب
 الصحف — فلا يحق لهم ان يهجروا الارشاد وإن شهدوا
 قلة تأثيره في قوم بأعيانهم ، فما يُدريهم أن تصادف نفوساً
 مستعدة للخير فتقودها الى سواء السبيل . قال تعالى
 « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » . وما سطر الايمان في

نفس الا كانت كالبلد الطيب يُخرج نباته بأذن ربه ، فابذر
فيها من الحكمة والموعظة ماشئت أن تبذر ، فلا تربك
الا نيات صالحة وأعمالا راضية

وكثيراً ما يستخف الناس بالامر تلقى له الخطبة أو
تؤلف فيه المقالة ، فاذا تتابع الترغيب فيه أو التحذير منه
ولو من المرشد الواحد أخذوا يعنون بشأنه ويتداعون الى
العمل به أو الاقلاع عنه

الفصل الثالث

المبادرة الى الدعوة

الدعوة نوعان : دعوة يُقصد بها إنقاذ الناس من ضلالة
أو شرٍ واقع ، ودعوة يُقصد بها تحذيرهم من أمرٍ يخشى
عليهم الوقوع في بأسه . أما الاولى فيتحتم القيام بها لاول
وقت ممكن ، ويلوح الى هذا الواجب قوله تعالى « وجاء
من أقصى المدينة رجل يسعى » قال يا قوم اتبعوا المرسلين .

فَقَوْلُهُ « مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ » إظهار لعناية هذا الداعي وشدة رغبته في الاصلاح حيث لم يثبطه بُعد المسافة عن السعي اليه والوفاء بحقه . وقوله « يَسْمَى » تذكيرة لدعاة الاصلاح وإيقاظ لهممهم كي ينفقوا في هذه الغاية وسعهم ويسارعوا الى النصيحة جهدهم ، لان السعي في لسان العرب بمعنى العدو والمشي بسرعة

وأما النوع الثاني من الدعوة فان كان مما ينشأ عن تأخيرهِ حرج التحقق بالامر الواقع ووجب المبادرة الى الدعوة حسب الطاقة ، وان كان بينك وبين وقوعه فسحة جاز ارجاؤها الى زمن الحاجة . وما يقوله بعض أهل العلم من جواز السكوت عن العلم الى أن يُسأل عنه إنما يحمل على هذا النوع الذي لم يدع الحال الى معرفته في الوقت الحاضر ، حكى القاضي عياض في كتاب (المدارك) ان سحنون وصاحبيه عون بن يوسف وابن رشيد دخلوا على أسد بن الفرات ، فمألهم عن مسألة ، فابتدر لجوابه صاحباً سحنون وسكت سحنون ، فلما خرجوا قال له صاحبه :

لم لم تتكلم ؟ فقال سحنون : ظهر لي ان جوابكما خطأ ؛
 وبين لهما ذلك ، فقالا له : لم لم تتكلم بهذا ونحن عنده ؟
 فقال : خشيت أن ندخل عليه ونحن اصدقاء ونخرج ونحن
 أعداء . قال القاضي عياض : وسكت سحنون حين علم أن
 القضية لا يفوت أمرها ، ولو علم ذلك لبادر بما ظهر له

الفصل الرابع

التعاضد على الدعوة

ذكر بعض أهل العلم أن قيام الواحد بفريضة الدعوة
 كافٍ ، واستشهدوا بقوله تعالى « فلولاً نَقَرَّ مِنْ كُلِّ
 فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ » ليتفقهوا في الدين وليُنذِرُوا قَوْمَهُمْ
 اِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ . وقالوا في وجه الاستشهاد :
 إن الطائفة في لسان العرب الواحد فما فوقه . وهذا القول
 مستقيم بالنظر الى ابلاغ الامر والنهي ، ووضع الحق بين
 أيدي الغافلين عنه . أما من حيث فعل الدعوة في النفوس

ودخولها مدخل الاقناع فمن البين بنفسه أن الدعوة التي تقوم بها الجماعة أثراً لا تبلغه دعوة الفرد ، وربما كان النظر في هذا يرجع الى حال المدعويين أو حال ما يتعلق به الدعوة أو ما يقصد من الدعوة

أما النظر الى حال المدعويين فقد يغني العدد القليل في دعوة جماعة تتقارب مشاربهم وتشابه احوالهم النفسية ، أما اذا اختلفت مشاربهم وتعددت نزعاتهم فلكثرة القائمين بالدعوة وتظاهرهم عليها وقع في نفوسهم واخذ لها من بين تلك النزعات المتباينة والمسالك المتشعبة ، فان الدعاة اذا تعددوا اختلفت أساليبهم في الدعوة غالباً ، وقد يبدو للداعي من وجوه تحسين الامر أو التنفير منه مالا يخطر على بال آخر وان كان أغزر علماً وأوسع نظراً ، وقد تخضع النفس لاسلوب دون أسلوب ؛ وتهتدي بطرز من الجدل أو الموعظة أكثر مما تهتدي بغيره ولو كان أقرب دلالة بحكم المنطق وأوضح إنتاجاً

وأما حال ما يتعلق به الدعوة فان الارشاد الى أحكام

الدين العملية — مثلاً — أيسر من اصلاح العقائد ووضع
 الايمان موضع الجحود بالله ، فداعي المطمئنين بالايمان الى
 مثل الاحكام العملية إنما يتلو قرءاناً أو حديثاً أو نصوصاً
 من يُقتدى باجتهادهم ، والداعي الى الايمان يقصد الى نقل
 النفوس من ملة الى ملة ، وتحويل النفوس من عقيدة الى
 أخرى يبلغ من الصعوبة أن يحتاج دعائه الى من يشد أزركم
 في إبلاغ الحجة أو مطاردة الشبهة ، وكذلك سأل موسى
 عليه السلام ربه أن يجعل أخاه هارون شريكاً له في الرسالة
 فقال « واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخى أشدُّ به
 أزرى وأشركه في أمري » وبعث عيسى عليه السلام الى
 أهل انطاكية برجلين اثنين ليدعواهم الى الايمان فقابلوها
 بعناد وتكذيب ، فأضاف اليهما ثالثاً يؤيد بعثتهما ، قال تعالى
 واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، اذ أرسلنا
 إليهم اثنين فكذبوهما فعزَّزنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون «
 واما حال ما يقصد من الدعوة فانك ترى رجالاً
 انحرفت عن ادب الاسلام قلوبهم ، وساعدتهم الايام على أن

أصبحوا يسيطرون على بعض شعوبه ، ويفسدون عليهم
دنياهم وآخرتهم ، فيعتدون على أحكام دينهم ، ويناصرون
الاشخاص الذين يملأون أفواههم بالجهل على رسوله
الاکرم . فاذا كان أولئك المنحرفون عن أدب الاسلام ممن
لا يقبلون على الحق بعين باصرة ، أو لا ينقادون الى الحقائق
المبصرة ، فمن المحتمل ألا يراد من دعوتهم اصلاح نفوسهم
وانما يراد منها صرفهم عن هذه السيرة الخرقاء واراعتهم أن
الامة التي تتقيد الاسلام شريعة لا تستطيع أن تبقى أمام
تعسفهم هذا معقودة الالسنه ، أو مقبوضة الايدي . فالذين
يرضون عن عبث هذه الارواح غير الطيبة انما يغنى في
عودتهم جماعة من زعماء الامة لا يحوم على ألسنتهم ملق ،
ولا يشتركون متاع هذه الحياة بكتمان ما أوتوا من حكمة ،
فيوقظونهم من غرورهم ، ويرونهم أن العزة للمؤمنين . أما
صوت الواحد ونحوه فانما يلقى منهم آذان الصم الذين لا يفقهون
وانما تفيد كثرة الدعاة عند اتحادهم وقصدهم الى اقامة
المصالح ونصرة الحقيقة في نفسها ، وبذلك أوصى النبي ﷺ

أبا موسى ومُعاذَ بن جبل حين بعثهما الى اليمن : قال لهما « يَسْرَا وَلَا تَعْسَرَا وَبَشْرَا وَلَا تَنْفَرَا وَتَطَاوَعَا » . ويُشعر بهذا الشرط التعبير عن الدعوة باسم « الامة » دون « القوم » في قوله تعالى « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ » قال القفال : الامة القوم المجتمعون على الشيء الواحد يقتدي بعضهم ببعض ، مأخوذ من الائتتام . وهو الوجه في اشارة التعبير به أيضا في آية « وَرَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ » فان لفظ « القوم » يطلق في اللسان على عدد أقل مما يطلق عليه لفظ « الامة » وهو من هاته الجهة أنسب بدعاة الاصلاح لقلة عددهم ، ولفظ الامة أليق بسائر الافراد لكثرتهم ؛ ولكنه اختير للدعاة اسم « الامة » لان اشعاره بمعنى اتحادهم وتألفهم أقوى مما يشعر به لفظ القوم فالقرآن يرشد الى أن يكون دعاة الاصلاح جماعة ، وان يكون أدب هذه الجماعة الاتحاد والتعاقد . ومن الواجب صرف الهممة الى مشروع الدعوة حتى تقام على نظام يحفظ الحقائق والمصالح ، أما بقاؤها مطروحة الى داعية

الافراد فقد يفضي بها الى ضياع ، وطالما جعلها تفقد حيث
يجب أن تكون

الفصل الخامس

مما الذي يفهم بالدعوة ؟

أطلق الاسلام في أمر الدعوة ، فأعطى لكل انسان الحق في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى أذن لادنى الناس منزلة أن يصعد الى مقام الامير الاعلى ويجاهره بالنصيحة وطلب الاصلاح . وقد كان الفرد من سائر الناس يأمر الولاية في عهد السلف وينهاهم : روى البخاري في جامعه الصحيح عن طارق بن شهاب ، قال : أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان ، فقام اليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة . فقال : قد ترك ما هنالك ، قال ابو سعيد الخدري : اما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « من رأي منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع

فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلمه ، وذلك اضعف الايمان »
 وجاء في حديث آخر روي في الصحيح أيضا أن أبا
 سعيد هو الذى جذب بيد مروان - حين رآه يصعد المنبر -
 فرد عليه مروان بمثل ما رد به على ذلك الرجل . ولعلهما
 قضيتان كما قال شارحو الحديث : احداهما وقعت لابي
 سعيد ، والاخرى كانت من الرجل بحضرته

ويضاهي هذا ما روى مسلم في صحيحه عن كعب بن
 عجرة أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم الحكم يخطب
 قاعداً ، فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعداً ، وقد
 قال الله تعالى « واذا رأوا تجارة او لهوا انقضوا اليها
 وتركوك قائما »

واعتبروا بعد هذا في قوله تعالى « وتواصوا بالحق »
 وتواصوا بالصبر » وقوله تعالى « كانوا لا يتناهون عن
 منكر فعلوه » فالتعبير بصيغة التفاعل في قوله « تواصوا »
 وقوله « لا يتناهون » يدل على تبادل الوصاية ، والتناوب في
 النهي عن المنكر . ويشير الى أن الشخص الذى يُوصي آخر

بحق أو ينهاه عن منكر لا يعلو به قدره عن طاعة ذلك
الموصى أو المنهي اذا دعاه الى صالح او الى النزوع عن باطل
ويجري على هذا الباب أن الفقهاء يطلقون للخصوم أن
يخطبوا القاضي بنحو « اتق الله » أو « أذكر الله » ولم
يعدوه من المنزلة بقلة التقوى . ولو أجري على مثل هذا
حكم الجفاء أو الطعن الذي يستحق به الخصم الادب لاتخذه
الحاكم المستبد ذريعة الى كف الرعية وسد أفواههم عن
احضاره النصيحة ، ودعوته الى القيام بصالح الاعمال .
يروى أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب في كلام دار بينهما :
« اتق الله » ، فانكر عليه بعض الحاضرين وقال له : أتقول
لامير المؤمنين : اتق الله ! فقال له عمر : دعه فليقلها لي ، نعم
ما قال ؛ لا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم
نقبلها

انما يعتمد في شرط المصلح أن يكون على يدنة من حكم
ما يأمر به أو ينهى عنه ، تلك المزية المومأ اليها بقوله تعالى
« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وقوله

تعالى « أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني »

والناس فى إدراك الحقائق اربع طبقات :

فمنهم من يشعر بوجه الحق فيستولى عليه نظراً وعلماً ،
وفى استطاعته أن ينصب عليه الدلائل الصريحة ليهتدي بها
المتقدمون على أثره . ولا تنبعث أمة من مرقدتها ، وتمتطي غارب
عزتها الا اذا نبئت فيها نابتة من أهل هاته الطبقة

ومنهم من لم يبلغ فى قوة الشعور وسرعة الخاطر أن
ينتبه الى جهة الحق من تلقاء نفسه ، ولو ترك بحاله وُخلى
سبيله لتمادى فى جهالته ، واستمر على غوايته . ولكنه يسمع
الكلمة تشير الى موضع الحق ، فيرمى ببصره اليه ، ويأخذ
فى نصب الدلائل الموصلة الى معرفته

وبعض الناس لا ينتبه للحق بنفسه ، ولا يتمكن من
اقامة الشواهد عليه لو أنبأته بناحيته ، فيفتقر الى أن تأخذ
بيده وتقوده بما تلقيه من الادلة حتى يراه رأي العين . الا
أنه انطوى على فطرة سليمة ونظر صحيح ، فلا يمكنك بعد
أن يفقه الرشد ويستقر على علم أن تنتزعه منه وتغرس فى

مكانه جهلاً أو ضلالاً

وفي الناس من يلقي زمامه الى أيدي الدعاة ويتلقى أقوالهم بالطاعة دون ان يكلفهم الدليل على صحة قضية أو الوجه في بيان حسن عمل ، وانما يعتمد في الاقتداء بهم على ما اشتهروا به من نحو العلم والاستقامة وكثرة المريدين من أولى الاحلام الراجحة . وعلامة هذه الطبقة أن يرجع مرشدهم عما بثه من علم أو ندب له من عمل فينقلبوا معه الى تقليد مذهبه الجديد

ولا يختص بواجب الدعوة أهل الطبقة العالية وما يقرب منها ، فان من الحق ما يكون واضحاً بنفسه أو بدليل متوافر ، بحيث لا يتأتى فيه نزاع ، ولا يحتاج الامر فيه الى تقرير حجة أو ازالة شبهة : كفريضة الصلاة ، وفضيلة العدل والعمل لتخليص الوطن من سيطرة الاجنبي ، فأمثال هذه الحقوق إنما يهملها مستطيع القيام بها لآفة سهو أو داعية هوى . فيحق لكل مسلم - وإن كان من أهل الطبقة السفلى - أن يذكر فيها غيره ، ويوصيه بها ، وإن كان من

أهل الطبقة العليا . وأما ما لا تدركه العامة من الحقائق ويضطر
الداعي الى أن يورد في بيانه الأدلة ويطارد الشبه ، فأمر
الدعوة اليه من حق العلماء القادرين على تحرير بحثه وحسن
التصرف في سوق أدلته

يأخذ بعض أهل العلم في وصف الداعي أن يكون
صالحاً في نفسه ، مستقيماً في سيرته . وهو شرط صحيح
بالنظر الى انتفاع الناس بإرشاده وتسابقهم الى اجابته ، فانهم
على ما نرى ونسمع لا تلين قلوبهم لموعظة واعد ولا يقتدون
برأي مرشد الا اذا وثقوا بأمانته وأبصروا في حالته الظاهرة
مثالاً لما ينصحهم به . وقد تبرأ شعيب عليه السلام من مخالفة
قومه الى ما حذروهم منه فقال « وما أريد أن أخالفكم الى
ما أنهاكم عنه » وجاء في كثير من الآيات المسوقة في فضل
الدعوة ذكر صلاح الداعي في نفسه واستقامته في عمله : قال
تعالى « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا »
وقال تعالى « هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على
صراط مستقيم » . وجاء في التنزيل ما فيه تفرغ وتعب من

حال الذي يلقي الموعظة ويبسط لسانه بالامر بالمعروف وهو
 يترك العمل به ناحية : قال تعالى « أتأمرون الناس بالبر
 وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » وفي
 هذه الآية شاهد على أن من أرشد غيره الى صالح وهو
 قابض يده عنه أو حذر مفسدة وهو لا يغادر موضعها فقد
 خالف مقتضى الحكمة ، ودخل في قبيل الذين لا يعقلون

يتوهم بعض الناس أن الدعوة الى احترام حقائق
 الاسلام وآدابه انما هي شأن من شؤون علماء الدين ، وربما
 ذهب بهم الوهم في مصر أو في تونس — مثلاً — الى أنها
 شأن علماء الازهر أو جامع الزيتونة ، وانبنى على هذا أن
 بعض من يدرس حقائق الاسلام وآدابه ويستطيع بيان
 حكمته ودفع شبه المضلين عنها ، لا يبرز في هذا الغرض قلماً
 ولا يحرك به لساناً ، ثم لا ترى له من عذر عن هذا التقصير
 سوى أنه لم يكن من أصحاب العمام أو أنه لم يكن من علماء
 المعاهد الدينية ، ان لم يلق اليك هذا العذر بمقاله ذلك عليه
 بلسان حاله . وقد عرف فريق من حكماء الشرق أن الداعي

الى مبادئ الاسلام خادماً للانسانية عامل على انقاذ الشرق
من مخالب الاستعمار ، فوقفوا حياتهم أو جانباً منها على نشر
محاسنه واحكام هذه الفئة المتهاككة على محاربتة

الفصل السادس

الخلاص في الدعوة

الغاية من « الدعوة » صلاح العالم وانتظام شئونه على
منهج السعادة . فاذا وجه الداعي قصده الى هذا الغرض
وأقامه نصب عينه ، استقام على الطريقة ، وقضى حياته في
سيرة راضية . واذا انحرف عن هذا القصد ولو قيد أنملة
رأيته يضطرب في حال دعوته كالريشة تخفق بها الرياح أينما
تصرفت . وقد حكى التنزيل في مواعظه أن شعباً عليه السلام
قد برأ نفسه ودفعها عن أن تؤم غرضاً من الدعوة سوى
الاصلاح حين قال « إن أريد الاصلاح ما استطعت ،
وما توفيقى الا بالله » . ويرشدنا قوله تعالى « قل لا أسألكم

عليه أجراً، إن أجري إلا على الله « وقوله تعالى « اتبعوا
من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون » الى أن تشوف الداعي
الى مافى أيدي القوم وتطلعه الى أن ينال من وراء ارشاده
شيئاً من متاع هذه الحياة، قاذح في صدقه وداخل بالريبة
في إخلاصه

ولا يدخل في زمرة المصلحين من يظهر بدعوى الغضب
للعادلة ويعلن البغضاء لمن يروم انتهاك حرمتها، ثم يبصر مرة
أخرى قوماً يعمدون الى حقوق قائمة فيفتلون أعناقها فاذا هو
يتبسم لصنيعهم تبسم المرتاح أو يشاركهم في دفنها ولو بحشية
من تراب. ماذا حملة على حب العمل بالحق والانتصار له
أولاً، ثم ماذا بعثه على رخذلانه والارتياح لازهاق روحه
ثانياً؟ إقامة الحق في الاولى تعود عليه بمنفعة فكان من
أشياءه، وإطفاء نوره في المرة الاخرى لا يذهب بحظ من
لذائذه فلم يأسف للقضاء عليه

ومن الناس من يضر في نفسه لبانة لاتناولها يده الا
بمساعدة قومه، فينصب اسم « الاصلاح » شرّاً

لاستعطافهم والتفافهم حوله ، فاذا ضحك الاقبال في وجهه
وحان رقطاف أمنيته ، انصرف عن معاضدة العدل وعرى
أفراس الدعوة ورواحلها

تهافت كثير من أصحاب الضمائر المعتلة على منصب
« الدعوة » واجتهدوا في كتم سرائرهم بغاية ما يستطيعون ،
وما لبثوا أن انكشف سرهم وافتضح أمرهم ، سنة الله في
الذين يظهرون بغير ما يعلمون من أنفسهم ، وهذا ما يجعل
أذكىاء الناس يحترسون ممن يخرج في زي مصلح أشد مما
يحذرون المجاهر بارادة العنت والفساد ، فأخو العشيرة اذا
ظهر لهم في ثوب الناصح الامين انخدع لا قواله أهل الغباوة
والتبس حاله على كثير من أهل النباهة ، فيجد سبلا مفتوحة
ونفوساً متهيئة لقبول ما يدسه في مطوي كلامه ويكنه تحت
اسم الاصلاح من مقاصد سيئة ، فيكون كيده أقرب إصابة
وأثقل رمية من خطر المبارز لهم بالعداوة والعمل على شقائهم
فان من يكشف لهم عن بطانة صدره لا يرميهم بالمكائد تحت
ستار ، ولو رماهم بها في موارد لوجدوا من شعورهم بطويته

ما يحملهم على سوء الظن به ، وينتقمهم من الوقوع في حباله
ونحن نرى الذين يصدّون عن الاسلام من المخالفين له
علانية لم ينالوا بين الامم الاسلامية إلا خيبة وخسارا ،
ورأينا الفئة التي ما برحت تُتذكر في حساب المسلمين - وهي
تحمل لهم عداوة الذين أشركوا - قد فعلت في فريق من
شبابنا ما قرّ له عين الاجنبي الذي يحاول أن تكون سلطته
خالدة

والتمييز بين من وقف ينادي للاصلاح صادقا ومن
لبس قميص المصلح عارية - لدنيا يصيبها ، أو وجاهة يتباهى
بها - انما تهدي اليه الفراسة المهذبة والاختبار الصحيح :
فاذا أبصرنا داعيا ذا يسار ولم يظهر في طبيعته حرص على
نماء ما بين يديه من المال ، أو قام يدعو فريقا ليس من دأبهم
بسطة أكفهم بصلة الدعاة ، فما كان لنا أن نرميه بتهمة القصد
الى اصطلياد ما في خزائن الناس من زينة هذه الحياة

ويدلك على سلامة نيته من احراز رئاسة أو وجاهة
أن ينشأ في بيت ماجد ومحوز في الشرف مكانة سامية ،

فيقوم وهو يشعر بان مجاراته للقوم واغضائه عما يشاهدون
عليه من العوج يزيد في اقبالهم عليه ويضع قلوبهم في الرضا
عن سيرته ، فيضرب عن مداجاتهم ويناضلهم بالحجة ، ولا
ينفك تعرض شمس الحقيقة على أبصارهم وهم لها كارهون
ومن شواهد طيب السريرة أن ينادي قومه
للاصلاح سنين ، ويتمادي في سعيه المتواصل الى آخر
رمق من حياته دون أن يفل عزمه تباطؤهم عن إجابته أو
مقابلتهم لصنيعه بالكفران . والشأن فيمن انطوى صدره
على سريرة غير طيبة أن يبتغي اليها الوسيلة ، فاذا ابطأت به
ولم تقع عينه الا على خيبة واخفاق مل العمل وصرف جهده
الى وسيلة اخرى

والذي يواصل سعيه وينفق معظم حياته في الدعوة قد
نصفه بسلامة النية واراادة الخير لقومه ، ولكننا لا ننته
باسم « المصلح » الا اذا صفا منهجه واستقامت آراؤه ،
فمن الدعاة من تطيب سيرته ويخلص قصده وانما يخونه
قلة بضاعته في العلم أو قصور نظره عند قياس الاشياء

باشباهها ، أو اقتباس الفروع من اصولها

الفصل السابع

طرق الدعوة

تؤدّي الدعوة باللسان تارة ، وبالقلم تارة اخرى .
ولكل منهما مقام هو أحق به من الآخر : ففي الناس من
يسعده لسانه فيعبر كيف يشاء ، ويمسك القلم فلا يجده
مطواعا . وفي الناس من اذا نطق وقع في كبوة ، واذا كتب
ابدى ، وبلغ ببيان ما يجول في ضميره الأمد الاقصى
فينبغي للداعي أن يبصر في نفسه ، ويعرف من أي
صنف هو ، ثم يأخذ الناس بالطريق التي يركبها ذلولا .
فان كان الداعي طلق اللسان بليغ القلم راعى في ارشاده حال
المدعوين : فان الناس طبقات ، واذا استوى في نظر الطبقة
المستنيرة الخطيب البارع والكاتب الفائق ، فان الخطيب
أسرع الى فهم العامة وأنهض بهم الى مآثر أو تنهى ،

واشدة ما تؤثر الخطب في نفوسهم ترى الرئيس المستبد
يحنق على الخطباء أكثر مما يحنق على الكتاب
والدعوة بالكتابة أوسع جولة وأخلد أثرا ، ومن
فوائدها ارشاد من لا يمكنك أن تخاطبه فوك الى اذنه ،
وارشاد المنحرفين عن السبيل ، مع البعد من ساحتهم ،
والسلامة من أن يواجهك سفهاؤهم بالسخرية والاذى
عني الاسلام بالخطابة ، فشرع الخطب أيام الجمع
والاعياد ليقوم فيها الخطيب بارشاد يراعي فيه حال الامة ،
فيقرع اسماءها بالموعظة الحسنة ، ويستنهضها للأعمال الكافلة
بمعزها في الدنيا وسعادتها في الاخرى

ذهل كثير من الخطباء عن هذه الحكمة ، فالتزموا
لكل شهر خطبا معينة يسردونها سردا ، ولا ينظرون فيها الى
ما يقتضيه حال الناس في التعليم أو التذكير . وبصنيعهم هذا
خرجوا بالخطب عن ان تكون طريق الدعوة الى اصلاح
وزيد في حسن الخطبة ونفعها أن تكون من انشاء
الداعي ، ويكون نفعها ابلغ اذا استطاع ان يرتجلها ارتجالا .

فان الاقوال التي ينزع معناها بنفسه ، ويسبك عباراتها بطبعه ، تكون ابلغ أثراً في نفوس السامعين ، واملك لعواطفهم ، من أقوال صنعت من قبل فأخذ يحكي ألفاظها حرفاً خرفاً . والاقوال المنشأة حال القامها تصدر عن انفعال نفسي ، وقوة ارادة ، فتنفذ في نفس السامع بالفاظ جديدة وهيأة غير مصطنعة . ويمكنك أن تعرف مقدار انفعال الخطيب وقوة ارادته مما تشاهده في هيأته الظاهرة من تبسم أو استعبار ، وعبوسة جبين أو طلاقته ، ورفع صوت أو خفضه ، الى مايمثل هذا من الآثار التي لا تشاهدها على ظاهر الناقل أو المترجم لكلام غيره ، الا ان يتكلفها !

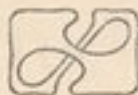
وتختلف طرق الدعوة - من حيث طرز الكلام ، وبلغ الاستدلال - الى مايفيد يقيناً لا ريب فيه ، والى مايفيد ظناً غالباً . قال تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي احسن » وقد ذهب بعض أهل العلم الى أن المراد من الحكمة الحجة المفيدة لليقين ، ومن الموعظة الحسنة الأمارات الظانية والدلائل الاقناعية ، ومن

المجادلة بالتي هي احسن الدليل المؤلف من مقدمات مسلسلة
عند المنازع . وفصل الامام الغزالي في كتاب (الاقتصاد)
هذه الانواع من الحجج ، وقسم المخاطبين الى ثلاث طبقات ،
وعين لكل طبقة نوعا قال : والبرهان يخاطب به الاذكياء ،
والخطابة يخاطب بها العوام لانهم لا يفهمون البرهان ،
والجدل لا يخاطب به الا المعاندون في الاعتقاد لانهم
لا يرجعون عن مذهبهم بالموعظة

ولم يرتضِ الشيخ ابن تيمية تفسير الآية بهذه الطرق
المنطقية ، وقال في رسالة (معراج الوصول) : بل الحكمة
هي معرفة الحق والعمل به : فالقلوب التي لها فهم وقصد
تدعى بالحكمة ، فيبين لها الحق علما وعملا ، فتبلغه وتعمل به .
وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدّهم عن
اتباعه ، فهؤلاء يُدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على
الترغيب في الحق والترهيب من الباطل . والدعوة بهتدين
الطريقين لمن قبل الحق ، ومن لم يقبله فانه يجادل بالتي هي
أحسن . ثم قال : والقرآن لا يحتاج في مجادلته بمقدمة لمجرد

تسليم الخصم لها - كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم - بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس ، وهي برهانية . وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها

والواقع أن القرآن لا يحتاج إلا بقاطع ، فان دعوته للناس كافة ، وهدايتة للعقول : كبيرة كانت أو صغيرة . ومن حكمته - وهو يدعو البشر قاطبة - أن يقيم على الحق أدلة لا تحوم عليها ريبة ، ولا يستطيع لها كبار الفلاسفة نقضا . أما غيره من الدعاة الذين قد يقصدون لاصلاح طائفة معينة ، فلا جناح عليهم ان يسلكوا في الاستدلال على الحق ما يجعله مألوفا للمخاطبين ، وان لم يبلغ في قوة الدلالة ان يقع من طلاب اليقين موقع التسليم



الفصل الثامن

أدب الدعوة

العمل على اتقاذ النفوس من وادي الغواية ، والاقبال
بها على مطالع السعادة ؛ مسلك وعمر لا يمر فيه على استقامة
الا من بلغ في صناعة البيان أمداً قاصيا

لا يكفي في الدعوة أن يكون في يد القائم بها حجة
أو موعظة ياقبها في أي صورة شاء ، فان المخاطبين يختلفون
ذوقاً وثقافة اختلاف الزمن والبيئة ، ومن اللائق ان تصاغ
دعوة كل طائفة في أدب يليق بأذواقها أو ثقافتها

الخبرة بما للطوائف من أحوال نفسية ، والقاء الدعوة
في الثوب الملائم لهذه الاحوال ؛ مو كول الى ذكاء الداعي
ورسوخه في فنون البلاغة وأدب اللسان . ولا يمنعنا هذا
من تذكير القاريء ببعض جمل نوردها كأمثلة للادب الذي
تخرج به الدعوة في خطاب بليغ

من أدب الدعوة الرفق في القول، واجتناب الكلمة الجافية، فان الخطاب اللين قد يتألف النفوس الناشزة، ويدنيها من الرشد والاصغاء الى الحجة أو الموعظة. قال تعالى في خطاب موسى وهارون عليهما السلام « اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ » ولقن موسى عليه السلام من القول اللين أحسن ما يخاطب به جبار يقول لقومه : انا ربكم الاعلى ؛ فقال تعالى « فقل : هل لك الى ان تزكى ، وأهديك الى ربك فتخشى ». ويندرج في سلك هذا صرف الانكار الى غير معين كقوله ﷺ في النكير على أهل بَريرة وقد عرفهم بأعيانهم « ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ؟ » ومن هذا القبيل قوله عليه الصلاة والسلام « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله اني لاعلمهم بالله وأشدّهم له خشية » وشكا اليه - صلوات الله عليه - رجل من معاذ بن جبل حين كان يطيل بهم الصلاة ، فاشتد غضبه ، ولكنه احتفظ بعادته الجميلة فلم يخاطب معاذاً على التعيين ، بل عمم في الموعظة وقال « أيها

الناس إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم
المريض والضعيف وذا الحاجة »

ومن أمثلة هذا الادب أن يوجه الدعي الانكار الى نفسه ،
وهو يعني السامع ، كقوله تعالى فيما يقصه عن رجل يدعو
الى الايمان بالله « ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون »
فانه أراد تقريع المخاطبين اذ أعرضوا عن عبادة خالقهم ،
وعكفوا على عبادة مالا يعني عنهم شيئاً ، فأورد
الكلام في صورة الانكار على نفسه ، تلطفاً في الخطاب
واظهاراً للخلوص في النصيحة ، حيث اختار لهم ما يختار
لنفسه

ويضاهي هذا الادب أن يضع نفسه بمنزلة السائل
المتطلب للحقيقة ، وقيم الحجة في معرض الاسترشاد ، حتى
تعلق بأذهان المخاطبين ، قبل ان يشعروا بفرضه فينصرفوا
بقلوبهم عن الاصغاء اليه : ومثل هذا ما فعل ابراهيم عليه
السلام في محاجة قومه المشار اليها بقوله تعالى « اذ قال
ابراهيم لايه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا : نعبد أصناماً فنظّل

لهاعا كفين . قال : هل يسمعونكم اذ تدعون ؟ أو ينفعونكم
أو يضرون ؟

وقال تعالى في تعليم رسوله الاكرم كيف يدعو الى
الحق « قل الله . وإنا أو اياكم لعلى هُدًى أو في ضلالٍ
مُبين » . فاذا لم يظهر الداعي انه على بينة من أمره ، وألقى
الكلام في هيئة المتردد الذي لا يتيقن أن الهدى في جانبه ،
كان كالمستعين برأي المخاطب في البحث عما هو حق ورشد ،
فتنحل في قلب هذا المخاطب عقدة التعصب . وربما طمع في
الداعي وأخذه الى مذهبه ، فيقبل على النظر بمجد حتى يمر به
مغالبة الداعي على الآيات الينيات ، فاذا هو ينظر الى الحق :
فما ايماناً بعد واما عنادا

ومن لطف الدعوة أن تنادي المدعو بلقبه الشريف ،
وتنمته بوصف شأنه أن يبعث صاحبه على قبول الموعظة
أو الانصاف في المجادلة . وهذا الادب مقتبس من مثل قوله
تعالى « يا أهل الكتاب » ، « يا أيها الذين آمنوا » ،
« يا أولي الاباب » ، « يا أولي الابصار » . وقد وصف النبي

عليه السلام هرقل في كتاب دعوته الى الاسلام بعظيم الروم .
ويتأ كدمثل هذا الادب في موعظة الصغير للكبير والمرءوس
لرئيسه ، ولا سيما حيث تضرب على الدولة طبائع
الاستبداد

وقد يفتح الداعي للرؤساء خطابه بكلمة « ائذن لي »
قال ابن شريح لعمر بن سعيد وهو يبعث البعث الى مكة :
« ائذن لي أيها الامير أحدثك قولاً » وروى له قوله عليه السلام
« إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرء يؤمن
بالله واليوم الآخر ان يسفك فيها دمًا » الخ الحديث .
فقال له عمرو بن سعيد : نحن أعلم بحرمتها منك . فقال له
ابن شريح : إني كنت شاهداً وكنت غائباً ، وقد أمرنا
رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد ابغمتك ، فانت
وشأنك

يذهب بعض الناس في الإنكار على من يراه مبطلا
مذهب النفاظة في القول ، فيرميه باللعن والشتائم ، وفن
الشتيم والهجاء مما يبذر الشقاق الذي نهينا عنه ، وربما حمل

المبطل على التعصب لرأيه أو هواه ، وقبض عليه باليمين
والشمال

والناس يعرفون أن طريقة السباب في المجادلة انما
يسلكها العاجز عن اقامة الحجج الدامغة ، فترى المقال الذي
يحرر في سعة صدر وأدب مع المخالف يجد من القبول وشدة
الاثر في نفوس القراء ما لا يجده المقال الذي يخالطه السفه
والحماقة . وكذلك ترى المستيقن انه على حق ، مطمئن
الخاطر آمنا على مذهبه من صولة الباطل ، فينطق عن أناة
ونخبر للاقوال الصائبة . أما من لم يكن على بصيرة من رأيه
أو عقيدته فانه ينزعج عند المجادلة ويطيش به الجدل حتى
يقذف بالسباب ويلفظ بالكلام من قبل ان يقيم له وزنا
قد يكون حديثك مع طائفة باعوا نفوسهم بمتاع هذه
الحياة واندفعوا لاغواء الامة ، والكيده لشريعتها وحياتها
السياسية ، بجميع ماملوكوا من صفاقة وغناد وسوء طوية .
ولعل الناس يعذرونك حين تتصدى لكف بأس هؤلاء
ويجري على لسانك أو قلمك في خلال جدالهم كلمة تهكم

بمعقولهم أو تردري آراءهم ، او تنبه على مكر انطوت
عليه دعايتهم

فانك ان تهكمت بمعقول هؤلاء أو ازدريت آراءهم
فانما تضعها في مواضعها وتمس خيلاءهم بما يخفف من غلوائها ،
وان رفعت الغطاء عن مكايدهم فانما تجادل قوما يجعلون مكان
الصريح رمزاً ، ومكان الطعن غمزاً ، ويلبسون أقوالهم
المعبرة عن آرائهم تردداً أو ريباً

الفصل التاسع

سياسة الدعوة

ضربنا لك الامثلة في المقال السالف للأدب الذي ينبغي
أن يصاغ فيه خطاب الدعوة . أما هذا الفصل فمعقود في
طرق من أدب اللسان يراعيها الداعي ويأخذ بها الدعوة ،
فيكون لها في النفوس المستعدة للخير أثر حميد
اذا كان أدب الخطاب يقوم على البراعة في فنون البلاغة

فان الطرق التي نبحث عنها في هذا الفصل انما تقوم على نظر
تقلب في أحوال الجماعات أطواراً ، ودرس سنن الله في
الخلقة ، فعرف كيف يسوس النفوس الجامحة ، ويردها الى
قصد السبيل

لايسهل على القلم استيفاء الحديث عن هذه الطرق ،
ولا يسهه الا أن يضرب لها امثلة ، ويكل الامر بعدها الى
المعيتك ، فهي التي تتناول المبنى القليل فتجعله كثيراً ، وتتاقى
القول مجملًا فتفصله تفصيلاً

من الحكمة في الدعوة أن تناجي بها الجاهل أو الغافل
في خلوة ابقاء للستر عليه ، وزغبة في حسن اصغائه اليك ، فان
كثيراً من الناس من اذا ألقيت عليه النصيحة في علن أخذته
العزة ، وثنى عطفه عن الاستماع أو الامثال

فاذا تصامم عن قبولها في خلوة ساع لك أن تلقى عليها
في ملاء ، لعله يتألم من الفضيحة ، ويحذر سوء الاحدوثة ،
فيعود الى سيرة نقيه ويذ كر كما يذ كر أولو الالباب . قال
تعالى في قصة نوح عليه السلام « قال رب انى دعوت قومى

ليلاً ونهاراً» الى أن قال « ثم اني دعوتهم جهاراً ، ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسراراً »

ومن حكمة الجمع بين الاعلان والاسرار ازالة مايقع في نفس المدعو من اتهام الداعي بأنه ما أراد من دعوته علانية الا تلويث عرضه واذاغة كلمة السوء عن سيرته

ومن حسن النظر أن تكون الدعوة الى المطالب العظيمة بطريق الترقى ، كأن يتدعي المصالح بما هو أيسر عملاً ، أو أقرب الى المألوف لدى الأمة ، أو أظهر حكمة لعقولهم . وعلى هذه القاعدة وضع الاسلام سياسته ، فتجد في تاريخ التشريع أنه أمر بالصلاة وسكت عن الكلام في أثنائها ، ثم نهى عنه وجعله من مبطلاتها . وأمر بالاتفاق على وجه التطوع ، ثم شرع فريضة الزكاة . ونهى على مفسدة الخمر بقوله تعالى « ويسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما » ثم منع منها في حال الصلاة خاصة فقال « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ثم حرّمها في كل حال تحريماً

لا هوداة فيه فقال « يا أيها الذين امنوا إنما الخمر والميسر
 والانصاب والازلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه
 لعلكم تنجحون » . وروى عن بعض الصحابة أنه قال : لو
 جاءنا رسول الله ﷺ بهذا الدين وبالقُرآن دفعة لثقلت هذه
 التكاليف علينا ، فما كنا ندخل في الاسلام . ولكنه دعانا
 الى كلمة واحدة ، فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما
 وراءه كلمة بعد كلمة ، على سبيل الرفق ، الى أن تم الدين
 وكملت الشريعة . ويحكى عن عمر بن عبد العزيز أن ابنه عبد
 الملك قال له : مالك لا تنفذ الامور ! فوالله لا أبالي لو أن
 القدور غلت بي وبك في الحق . فقال له عمر : لا تعجل يا بني
 فان الله ذم الخمر مرتين ، وحرّمها في الثالثة . وإنني أخاف
 أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة وتكون من ذا
 فتنة . ويشابه هذا أن يقصد الداعي الى أمر فيه مشقة ،
 فيضع أمامه تهيدا يخفف وقعه ، ويقل شأنه ، حتى لا تكبره
 النفوس ، وترتخي دونه العزائم خورا . ومثال هذا ما سلكه
 التنزيل في التكليف بفريضة الصيام حيث شرعه أولا في

أمر بمحمل فقال « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » ،
 وذكر أن هذا النوع من القربة قد فرض على الأمم السالفة ،
 فقال تعالى « كما كتب على الذين من قبلكم » ، فهو عمل
 مألوف وشريعة غير خاصة ، وفي هذه التذكرة ما يدخله في
 قبيل السنن الجارية ويجعله أمراً هيناً . ثم أشعرهم بأن أيامه في
 الحساب قليلة فقال تعالى « أياماً معدودات » . وبعد أن هيا
 النفوس لقبول فريضته قال « شهر رمضان الذي أنزل فيه
 القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، فمن
 شهد منكم الشهر فليصمه »

وجرى التنزيل على هذه السنة عند الترغيب في أمر
 صعب المركب شديد الأثر على النفس ، وهو الصبر على
 الأذى ، ومقابلة الإساءة بالعفو ، فأمر بالعدل في المجازاة
 ونهى عن تجاوز المثل في العقوبة فقال « وإن عاقبتم
 فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » . ثم بين في قوله تعالى « ولئن
 صبرتم لهو خير للصابرين » أن الأكل لهم الأغضاء عن
 السيئة وترك المؤاخذة عليها ، فالصفح عن الأذى — مع

القدرة على الانتقام — ضرب من الكرم، ومظهر من مظاهر الرحمة. ثم قال تعالى « واصبر وما صبرك الا بالله » فرغب في الصبر بطريق أبلغ اذ وجه الخطاب به الى الرسول الاعظم وهو اسرع الناس الى الاستقامة على الطريقة، فيجدون من سنة التأسي به نشاطاً للطاعة، وباعثاً على التجميل بالصبر، وان ثقلت على النفوس وطأته

ويُقارب هذا النوع من السياسة أن يأخذ الداعي في تقرير المصالح بوجه عام حتى يأنس لها الناس ويتفقهوا في طرق الخير على سبيل الاجمال، ثم يندبهم الى الاعمال المندرجة تحتها ببيان وتفصيل، فان من السهل على البشر قبول القضايا الكلية، وقلما نازعوا في صحتها. واكثر ما يقع منهم الانكار والاختلاف في المسائل الجزئية وأحكام النوازل المعينة، وعلى هذا النمط أدار الاسلام سياسته فأستس معظم قواعده العامة بمكة، وشرع أكثر الاحكام الفرعية بالمدينة المنورة

ومن حسن السياسة ألا يجهر برأيه الصريح في صدر

مقاله ، وانما يتبدى بما يخفُّ على المخاطبين سماعه من المعانى الحائمة حول الغرض ، ثم يعبر عن المراد بلفظ مجمل ويدنو من ايضاحه شيئاً فشيئاً حتى لا يفصح عنه إلا وقد ألفت نفوسهم ، وهدأت له خواطرهم . وعلى هذه الطريقة جرى ذلك المؤمن من آل فرعون ، فقد كان يكتم إيمانه وهو يحب أن يظهره ويدعوقومه الى مثله ، وكان يخشى - من التصريح بعقيدته - بادرة غضبهم او انتقامهم منه ، حتى اغتم وقت إجماعهم على قتل موسى عليه السلام فرصة وقام ينكر عليهم هذه المؤامرة المخزية ، وتخلص الى أن دعاهم الى الإيمان بما بُعث به هذا الرسول دعوة ظاهرة ، قال تعالى «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ وقد جاءكم بالبينات من ربكم »

فاتحهم بالانكار على قتله وهو لا يدلُّ على أنه مصدق برسالته ، اذ قد ينهي العاقل عن سفك دم الرجل أو اضطهاده ، وهو من أبغض الناس اليه ، تألماً من مشهد الظلم أو خذراً مما ينشأ عنه من فتنة ، ودل

بقوله « أن يقول ربى الله » على ما لهذا الرجل من فضل في العقيدة ، وأوماً الى أنه لم يحىء شيئاً نكراً يستحق به هذه العقوبة الصارمة ، وذكرهم اذ قال « وقد جاءكم بالبينات من ربكم » بالدلائل القائمة على صدقه في دعوى الرسالة ، وقد أخذ يتقرب بهذه الجملة من دعوتهم الى الايمان به ، ولم يرد التظاهر بأنه من شيعته فعزل نفسه عن جاءهم بهذه البينات وأضاف مجيئها اليهم خاصة ، ثم استرسل في موعظته المنسوجة في أدب الانصاف الى ان صدع ببطلان نخلتهم ، ودعاهم الى دين الحق بقوله الصريح ، قال تعالى فيما يقصه عنه « ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ، تدعونني لا كفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم ، وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار »

قد يسكت المرشد عن بعض ما يكون حقاً ، أو يتعرض له بعبارة مجملة أو ذات وجهين ، اذا لم يساعده الحال على ان يصدع به ورأى ضرر التصريح به ارجح من نفعه . وليس له ان يقول غير الحق بقصد أن يتألف أصحاب النحل

والمذاهب الزائغة ويستدرجهم الى ما يُورده بعده أو يثبتته في حديثه من الحقائق والدلائل الفاضحة لمعتقداتهم وأوهامهم . وزعم الرازي صحة هذا الصنيع ، وعدّه من حكمة المتشابهة في التنزيل ، وحمل عليه قول ابراهيم عليه السلام في محاجة قومه الواردة في القرآن « هذاربي » مشيراً الى النجم ، ثم القمر ، ثم الشمس . وقد ذكر المحققون للمتشابهة وجوهاً أظهر من هذا الوجه ، وفهموا قول ابراهيم عليه السلام على غير هذا التأويل

ومن حكمة الداعي أن يسبق الى العمل بما يأمر ، فقد يكون اقتداء الناس بأفعال المصلح أقرب من اتباعهم لأقواله ويشهد بهذا سيرة النبي ﷺ في شرع الاحكام ، فتراه في بعض الاحيان يصرح بالاذن في أشياء فلا يبادرون الى فعلها ويستمترون على الاحجام عنها حتى يقررها بالعمل ثانياً . تجده قد اذن لهم — وهم على سفر — في الافطار شهر رمضان ، وبقي هو صائماً ، فلم يقطعوا صومهم حتى عمداً الى الفطر خففوا الى الاقتداء بفعله ، وأفطروا . واذن لهم في

نسكاح من كن أزواجا لادعيائهم ، فكبر عليهم ان يخرقوا
 هذه العادة ، حتى تزوج ^{مطلقة} بزینب بعد ان فارقتها مولاه
 زيد ، وفي هذا المعنى نزلت آية « فلما قضى زيد منها
 وطرا زوّجنا كها لکیلا یكون علی المؤمنین حرج
 فی أزواج أدعیائهم إذا قضوا منهنّ وطرا وكان أمرُ الله
 مفعولا »

ومن الوسائل التي يكون لها أثر في تأتف الجاهلين
 أو المفسدين ، وتهيئتهم الى قبول الاصلاح ، بسط المعروف
 في وجوههم ، وارضائهم بشيء من متاع هذه الحياة ، فان
 مواجهتهم بالجميل ، ومصاحفتهم براحة كريمة ، قد يعطف
 قلوبهم نحو الداعي ، ويمهد السبيل لقبول ما يعرضه عليها من
 النصيحة . والنفوس مطبوعة على مصافاة من يلبسها نعمة ،
 ويفيض عليها خيرا . ولمثل هذه الحكمة ذكر القرآن في
 مصارف الزكاة صنف المؤلفة قلوبهم فقال تعالى « إنما
 الصدقات للفقراء والمساكين والعاملین علیها والمؤلفة
 قلوبهم وفي الرقاب والغارمین وفي سبیل الله وابن السبیل »

الفصل العاشر

الاذن في السكوت عن الدعوة

انما تسقط فريضة النصيح والدعوة الى الحق في

موضعين :

أحدهما أن ينشأ عن الامر أو النهي مفسدة أعظم ،
وذلك ما تقتضيه قاعدة ارتكاب أخف الضررين اذا تعارضا .
ومن شواهد أن النبي ﷺ كره من الصحابة تناولهم الاعرابي
حين أخذ يبول في المسجد ، ونهاهم عن ذلك وقال « انما بُعثتم
ميسرين ولم تبعثوا معسرين » فالبول في المسجد تلطيخ لمحل
العبادة بنجاسة ، وفي قطعه عمن شرع فيه مفسدة أكبر
منه ، وهي ما يحدث عنه من علة في البدن . والنجاسة تزال
بالماء . ومن العال ما ينبو عنه رأي الطيب ويخونه فيه
الدواء ، واعتناء الاسلام بالمحافظة على سلامة الابدان غير

قليل

ويمائل هذا أن يكون صاحب الضلالة ممن يطفى على
الداعي ويستنكف أن يكون بمنزلة الصادر عن إرشاده أو
تذكيره ، فيأخذه الاعجاب بسطوته الى ارتكاب جهالة
أفزع من الاولى حتى يغيظ داعيه الى الخير ، ويتظاهر
بالغلو في مخالفة أمره أو نهيه

ولا يدخل في هذا القليل أن تجري عادة العامة بترك
سنة أو فعل بدعة ، ويكون أمرهم أو نهيم سبب ثورة لا
تتجاوز القلم أو اللسان ، فإذا شد المصلح قلبه باخلاص ،
وتحرى الادب جهده ، فلا جرم أن يكون لدعوته الاثر
النافذ والعاقبة الحسنة ، وليس السكوت عن صنيعهم أو
التمحل في تأويله والفتوى بصحته الا مداهنة وإثارة للخلق
على الحق ، ولا يلبس هذه الخصلة المنكرة الا قصير النظر
أو ضعيف الارادة

ولاحق لاحد في أن يكتم ما فرض الله معرفته معذراً
بالخوف من أن يقع المخاطبون في سوء فهم أو اضطراب

فكر ، فان هذا النوع من العلم لا تحار في ادراكه العقول ،
وانما يقوم مثل هذا معذرة للسكوت عن الحق الذي لم يكلف
الناس بعلمه ، وهو المراد بقول الامام علي كرم الله وجهه
« حدثوا الناس بما يفهمون ، أتحبون أن يكذب الله
ورسوله ! » ومن هذا حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت :
قال النبي ﷺ : يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم بکفر
— وفي رواية « بجاهلية » — لنقضت الكعبة فجعلت لها
باين باب يدخل الناس وباب يخرجون » والذي تحاماه ﷺ
أن يظن بعضهم — لقرب عهدهم بالاسلام — أنه غير بناء
الكعبة لينفرد بالفخر عنهم

ثانيهما: أن يوقعه الامر أو النهي في بلاء ، ويلحق به
ضرراً فادحاً. وعد الامام الغزالي من هذا البلاء الاستخفاف
به على وجه يزري بكرامته . وقد يكون هذا عذراً في
صرف الدعوة عن طائفة خاصة عرف منها هذا الخلق
الليثيم ، ولا يصح أن يكون عذراً في الاحجام عن دعوة

الامة الى صالح وان وجد فيها طائفة تطلق ألسنتها بسباب
المصلحين ، وتباهتهم في المجامع أو الصحف بغير حساب

وقد اتخذ بعض المفسدين هذا السباب والمباهة سلاحا
يشهرونه في وجوه من يعترضون دعايتهم بالانكار ، ولو كان
مثل هذا الاذى يجزى لاهل العلم أن يخلوا سبيلهم ويغمضوا
عن منكراتهم لسرت تلك الدعاية سريان السم الناقع ولو ثبث
هذه الفطر السليمة برجس الغواية ، ولا مزية في أن بلية
الاغواء أشد ايلاما لعقلاء الامة وأسوأ عاقبة من أن تنهش
أعراضهم بالسنة حداد

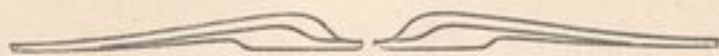
ويرى الشيخ ابن عرفة أن خوف العزل من المنصب
لا يعد عذراً يسقط عن الرجل فريضة النهي عن المنكر ،
واذا كان بعض من لا يرجون لله وقارا قد يدعوه الحرص
على احراز سمعة فاخرة الى أن يذود عن المصلحة العامة
وزدري الولاية ولا يبالي أن يصبح عاطلا من قلاتها ،
أفلا يليق بأهل التوحيد الخالص - ماداموا يستيقنون أن

الله يرزق الداعي الى الاصلاح من حيث لا يحتسب - أن يكونوا أزهد الناس في المنصب الذي يطوي ألسنتهم عن قول الحق أو يحملهم على مجاراة رئيس لا ينهى النفس عن الهوى !

فاذا اعتقد الداعي الى الاصلاح بما يناله من عذاب وبلاء فهو في سعة واختيار من تحمل الاذى أو طلب السلامة فان شاء أخذ بالعزيمة ورفع صوته بالدعوة الى الحق ، وإن شاء تمسك بالرخصة التي يتمسك بها المستضعفون من الرجال والنساء

وقد آثر جماعة من علماء الاسلام لقوة غيرتهم على العدل وشدة رغبتهم في الصالحات أن يأخذوا بالعزم ويحافظوا على الجهر بالارشاد ، وان كرهه المفسدون جهرهم ، وأذاقوهم من ألوان جورهم عذابا أليما . ومن قصصهم في هذا الشأن أن الملك اسماعيل والى الافرنج وسلم لهم صيدا وغيرها من الحصون لينجدوه على الملك نجم الدين أيوب فأنكر عليه

الشيخ عز الدين بن عبدالسلام هذه الفعلة الخائنة فغضب عليه
 الملك وعزله عن مناصبه ، وأمر باعتقاله ، ثم بعث اليه من
 يده ويمنيه لعله يرجع عن انكاره ويرضى ، فجاءه الرسول
 وقال له : تعاد اليك مناصبك وزيادة ، وما عليك الا أن
 تفكر للسلطان وتقبل يده لا غير . وما كان جواب الشيخ
 الا أن قال له : والله ما أرضاه أن يقبل يدي فضلا أن أقبل
 يده ، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد



الفصل الحادي عشر

علل اهمالها

ما بال الرجل يعرف مناهج الصلاح ويبصر طائفة من
 قومه يتهافتون على عماية أو يهيمون في جهالة ولا تنهض به
 الهمة ليعمل على افاقتهم من سكرتهم وإراءاتهم معالم فوزهم ؟
 أخذنا نبحت عن منشأ هذا التقصير ، وندير النظر في
 البحث كرتين ، فرأينا مدار علته الفاقرة على عشرة أسباب :
 (١) المداهنة ، فمن أهل العلم من يرى ذا جاه أو رياسة
 يهتك ستر الادب أو يعيش في الارض فساداً فيتغابي عن
 سفهه أو بغيه ويطوي دونه التذكرة والموعظة ابتغاء مرضاته
 أو حرصاً على مكانة أو غنيمة ينالها على يديه . ومن البلية
 أن المترفين ومن ينحو نحوهم في الزيف والغرور لا يكتفون
 ممن يسوقه الزمن الى نواديتهم أن يسكت عن جهلهم ويتركهم
 وشأنهم . وانما يرضيهم منه أن يزين لهم سوء عملهم أو يرمقهم
 بعين مكحولة بتبسم الاستحسان وهو أقل شيء يستحق به
 في نظرهم لقب كيس ظريف !

والمداهنة خلق قذراً لا ينحط فيه الامن خوف في العلم وزنه
 أو من نشأ نشأة صغار ومهانة ، وهذا تاريخ العلماء الراسخين
 ناطق بما كان لهم من الاقدام على وعظ الامراء ، والانكار
 عليهم اذا أساءوا التصرف أو أهملوا . قال عز الدين بن
 عبد السلام للملك نجم الدين أيوب في مجلس حافل برجال
 الدولة : يا أيوب ما حجتك عند الله اذا قال لك : ألم أبوتى
 لك ملك مصر ثم تبيع الخمر ! فقال : هل جرى هذا ؟
 فقال : نعم ، الخانة القلانية يباع فيها الخمر وغيرها من
 المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة . فقال : هذا
 أنا ما عملته ، هذا من زمان أبي . فقال : أنت من الذين
 يقولون : إنا وجدنا آباءنا على أمة ! فرسم الملك بإبطال تلك
 الخانة (١)

نعلم أن السلطة السياسية تنقل اطواراً ، وإن موقف
 العلماء امام الامراء يختلف على قدر ما يكون للعالم من مكانة
 في قلوب الامة ، وعلى قدر ما يكون للامير من حماقة أو

(١) طبقات الشافعية لابن السبكي

أناة . واختلاف السياسة أطوارا أو اختلاف مواقف العلماء أمام الامراء انما يقتضى أن يكون لكل طور سياسى - أو لموقف كل عالم - أسلوب في الدعوة يطابق مقتضى الحال ، أما اصل دعوة الامراء الى حق أو صالح ، ففريضة قائمة ، وعزالدين بن عبد السلام وأحد علماء هذا العصر - في احتمال امانتها ووجوب تحرير الذمة بادائها - على سواء

(٢) ضعف الجأش وقلة الصبر على المكاره ، وهو خاق يقطع لسان صاحبه عن قول الحق مخافة أن لا يرتضي بعض الناس قوله فيضمر واه البغضاء ويسوموه أذى أو تهكما وكم سقت في أثارهم من نصيحة

وقد يستفيد البغضة المتنصح وقد تعرض الكتاب العزيز لخصلة الاستهزاء بالمرشدين ونبه على أنها عادة مألوفة وأذى يعترض في طريق كل مناد بالاصلاح ، قال تعالى « ولقد أرسلنا من قبلك في ربيع الاولين ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون »

وقد يقص علينا من بذائهم ومكرهم ما يصح أن يكون من حكمه تسليمة الدعوة وتأكيده عزيمتهم على مواصلة الدعوة وقلة الاكتراث بما يلاقونه من شغب واساءة ، فاذا لقي رُسل الله عليهم السلام من سفهاء القوم أذى كثيراً فأنغمضوا عنه وداسوه بأقدامهم فلا يسمع غيرهم ممن يريد الخير لامته الا أن ينصح لهم ويفتح في طرق الهداية أبصارهم ولا يبالي بمن ينغض اليه رأسه ساخراً ، أو يطلق فيه لسانه لامزاً

(٣) ان في الرؤساء من تجمع بهم أهواؤهم عن ناحية العدل ولا يرقبون لفضيلة العفاف عهداً ، فيكيدون لكل من شأنه الدعوة والاصلاح لكيلا يتعرض لسيرتهم أو يتطاول الى نقد سياساتهم . وهذا الضرب من الاستبداد يلقي في النفوس الضعيفة حذراً بالغاً ويقلب العارفين بطرق الاصلاح الى حال الغافلين عنه فتراهم ينظرون الى الفساد يتقلب في البلاد كأنهم لا يبصرون

قد يعذراً مثال هؤلاء في عدم التعرض لحوال الرؤساء المستبدين حيث اعتقدوا أن خوضهم فيها يسوقهم الى عقوبة

لا طاقة لهم بها . ولا عذر لاحد في الصمت عن التذكير
جملة الا اذا بلغ هؤلاء المستبدون أن يضعوا عقوبتهم على
ظهر كل من ينهى عن منكر ولو لم يكن له صلة بسياساتهم
الجائرة ، ولعلك لا تجد في أنباء الدول من يتخبطه شيطان
الاستبداد حتى يسطو على كل من ينطق بالحكمة والموعظة ،
وواجب العلماء أن يقوموا بالاصلاح والارشاد في
دائرة الامكان

(٤) أن يغلو العالم في الورع فيأبى الذهاب الى حيث
يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ، حذراً من أن يغشى نادي
منكر أو يختلط بصاحب ضلالة . حكى القاضي عياض في
كتاب (المدارك) أن عضد الدولة فنا خسرو الديلمي بعث
الى أبي بكر بن مجاهد والقاضي ابن الطيب ليحضرا مجلسه
لمناظرة المعتزلة ، فلما وصل كتابه اليهما قال الشيخ ابن مجاهد
وبعض اصحابه : هؤلاء قوم فسقة لا يحل لنا أن نطأ بساطهم ،
وليس غرض الملك من هذا الا أن يقال : إن مجلسه يشتمل
على أصحاب المحابر كلهم ، ولو كان مخلصاً لنهضت . قال القاضي

ابن الطيب: فقلت لهم: كذا قال المحاسبي وفلان ومن عاصرهم :
 إن المأمون فاسق لا يحضر مجلسه حتى ساق احمد بن حنبل
 الى طرسوس وجرى عليه ماعرف ، ولو ناظروه لكفوه عن
 هذا الامر وتبين له ما هم عليه بالحجة . وأنت ايضا أيها الشيخ
 سلكت سبيلهم حتى يجرى على الفقهاء ماجرى على احمد
 ويقولوا بخلق القرآن ونفي الرؤية ، وها أنا خارج إن لم
 تخرج . فقال ابن مجاهد : اذا شرح الله صدرك لهذا
 فخرج

(٥) أن يقوم الرجل بالارشاد فلا يجد ممن فيهم
 الكفاية مساعداً ، وربما أدخلوا في قلبه اليأس وسدوا باب
 الامل في وجهه متكئين على دعوى فساد الزمان وعدم إفادة
 النصيحة عند غلبة الفساد ، وهو الخاطر الذي يسر أعداء
 الادب أن يستقر في نفس كل مؤمن فيجدوا من خمول أهل
 العلم وكسلهم ما ينشط بهم الى أن ينادوا للخروج على الفضيلة
 وهم آمنون

(٦) أن يجد العالم في سيرته سيئة أو سيئات فتلقي في

نفسه الذلة والرهبنة ويترك الارشاد حذراً من أن يلمزه بها
الناس حين يقوم بينهم مقام الواعظ الامين . والعادة أن من
يخرج للناس في ثوب مرشد وقد علفت بسيرته وصمة لم
يلبثوا أن يذكروه بها وينشدوه :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلاً لنفسك كان ذا التعليم
فينبغي للعالم أن يكون ذا نفس زكية ، وساحة نقية ،
حتى لا يكون الخلل في سيرته كالشجاء يقف له في لهاته ،
ويمنعه من هداية المسرفين . وعلى أي حال كان لا يليق به
الاحجام عن الارشاد فان ما يعرفه له الناس من زلل قد يصرف
عنه وجوه العامة ويقعد بهم عن سماع موعظته ، أما الخاصة
فربما انتفعوا بدعوته الموصولة بالحجة أو بيان الحكمة

(٧) العداوة تنشب بين الرجل والفئة الجاهلة فتمسك
لسانه عن نصيحتهم وانذارهم لئلا يمدوا في ضلال ويتساقطوا
على عمل يهوي بهم في خسارة . وقد خادعت هذا البائس نفسه
فرمت به في غش ، وساقته الى التهاون بواجب النصيحة

(٨) الشفقة تفيض في فؤاد الرجل وتطفو على حبه

للاصلاح فترده عن أمر الشخص بصالح فيه كلفة . والشفقة
كسائر الفضائل التي يخرج بها الافراط الى مالا يسمى فضيلة
وقد نهى القرآن عن مثل هذه الشفقة الطاغية فقال تعالى
« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا
تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر » . فالحدود والنظم وضعت لحفظ المصالح واستيفاء
الحقوق ، فيجب ألا يكون للرأفة الداعية الى الاخلال
بشيء من اقامتها أثر يرى . وأخرج ابن جرير في تاريخه عن
سالم أن عمر بن الخطاب كان اذا صعد المنبر فنهى الناس عن
شيء جمع أهله فقال : اني نهيت الناس عن كذا وكذا ، وان
الناس ينظرون اليكم نظر الطير ، وأقسم بالله لا أجد أحداً
منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة لمكانه مني

(٩) أن يكون المستحق لان يوجه اليه الاداعي أمره
أو نهيه مثل أب مطاع أو معلم محترم ، فيبلغ به الحياء منه
والاحترام لمقامه أن يسكت عن دعوته المشعرة بنسبته الى
جهالة أو خطيئة . وفيما قصه الله علينا من موعظة ابراهيم

عليه السلام لا ذر وتسميته أباً ما يرشدنا الى أن الابوة لا تمنع من الامر بمعروف أو النهي عن منكر ، ولكن الاب يستحق من أدب الخطاب ولطف الموعظة أكثر مما يستحق غيره . وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام ، واتباع الاول للثاني بصفة متعلم ، ثم انكاره عليه خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار ، عبرة للمتعلمين والمعلمين فللمتعلمين حق الانكار وعلى المعلمين أن لا يستنكفوا

(١٠) علة نادرة ، ولا ندري هل بقي لها من أثر الى هذا اليوم ، وهي انه كان في الناس من يبدو له ان يترك بعض اعمال الخير ، حذراً من أن يخالط قصده الرياء والتطلع للسمعة ، فيقلص نور اخلاصه ، ويفوته ثواب الله في الآخرة . وترك الدعوة بمثل هذا الوسواس ورع خادع وماعلى العارف بالاصلاح الا ان يجاهد نفسه ويأخذها بأدب الاخلاص والاستطاع ، ومخافة الرياء تجاه فائدة الدعوة الى صالح لاغية

(١١) علة نشأت في هذه الايام ، وهي أن الذين في

قلوبهم زيف قد وجدوا من القوة المادية ، وسلطان الدول
 الاجنبية ، مايزين لهم نشر دعايتهم الهازلة ، فصادفت من
 بعض الاحداث أفئدة هواء ، فباضت فيها وفرخت ، وأخذ
 الالحاد يدرج على ألسنتهم ، وصفاقة الحجان بارزة على
 وجوههم . وقد ينظر بعض أهل العلم الى أن هذه الفتنة لم
 يسبق لها مثيل فيما سلف فيها بسطوتها ويحسبها نارا لا يمكن
 إطفائها ، فيذوب أمامها ويوليها ظهره يائسا !

وما هذه الفتنة الا جولة باطل يتوكل على قوة مادية
 فتى لقي في سبيله الحقائق تكتنفها اليبسات ذهب جفاء ولا
 يبقى له أثر إلا في نفوس يذهب المنطق بين جهالتها
 وشهواتها ضائعا



الفصل الثاني عشر

آثار السكوت عن الدعوة

ينزوي العارفون بوجوه الاصلاح فيرفع البغي لواءه ،
ويبقى إخوان الفساد يترددون على نوادي المنكرات ،
والبغي يضرب على الامة الذلة والمسكنة ، والانهاك في
المنكرات يميت خصال الرجولة من نحو الشجاعة وشدة
البأس والبذل في سبيل الخير . واذا تفشى وباء البغي والفساد
تداعت الاخلاق الفاضلة الى سقوط ، ونضب ماء الحياء من
الوجوه ، ووهنت رابطة الاتحاد في القلوب ، وتضاءلت
الهمم عن معالي الامور ، وقلت الرغبة في الآداب والعلوم .
وما عاقبة الامة المصابة بالذل والاحجام والجهل والتفرق وقلة
الاتفاق في سبيل البر الا الدمار ، قال تعالى « واذا أردنا أن
نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا » . ومن اكبر الدمار الذي تبثلي به الامم
الفاسقة أن تقع ناصيتها في قبضة خصمها العنيد ، وفي التنزيل

الحكيم ما يفيد أن لم تركبى فاحشة الظلم عاقبة وبيلة هي وقوعهم تحت سيطرة الظالمين ، قال تعالى « وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون »

ولا يحسب الذين ينقطعون عن إرشاد الضالين ووعظ المسرفين أن اقبالهم على شأنهم واقتصارهم في العمل الصالح على انفسهم يجعلهم في منجاة من سوء المنقلب الذي ينقلب اليه الفاسقون ، والذي جرت به سنة الله في الامم أن وباء الظلم والفسوق اذا ضرب في أرض وظهر في اكثر نواحيها لا تنزل عقوبته بديار الظالمين أو الفاسقين خاصة ، بل تتعداها الى ماحولها ، ورمي بشرر يلفح وجوه جيرانهم الذين تخلوا عن نصيحتهم ولم يأخذوا على أيديهم ، قال تعالى « واتقوا فتنة لا تُصيين الذين ظلموا منكم خاصة » ومن الفتن ما ينزل على القرى الظالمة ويأتي على المؤمنين منهم ، ولو لم يلبسوا ايمانهم بترك النصيحة وقاموا بالامر والنهي جهدهم . فانك تجد فيما تظالعه من انباء الامم أن الامة التي يجوس خلالها الظلم والفساد لا تلبث أن تسقط من شامخ

عزها : فاما أن تقبض عليها يد أجنبية ، واما أن تحل بها قارعة سماوية ، وما كان من نوع هاتين العقوبتين يتناول الافراد الذين نصحووا لقومهم فلم يقبلوا ، كما يتناول الصبيان ومن لا قدرة له على الجهر بالنصيحة . روي في الصحيح عن زينب بنت جحش ، قالت : قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال « نعم ، اذا كثر الخبث » وعن ابن عمر أنه سمع أباه يقول : قال رسول الله ﷺ « اذا أنزل الله عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بُعثوا على أعمالهم »

ومن البلية في سكوت العلماء أن العامة يتخذونه حجة على إباحة الاشياء أو استحسانها ، فاذا نهيتهم عن بدعة أو سيئة وسقت اليهم الدليل على قبحها ومخالفتها لما شرع الله ، كان جوابهم أنهم فعلوها بمرأى أو مسمع من العالم فلان ولم يعترض فعلهم بانكار

ومن أثر التهاون بالارشاد أن يتمادى المفسدون في لهوهم ، ولا يقفوا في اتباع شهواتهم عند غاية ، فتقع أعين الناس على هذه المناكر كثيراً فتألفها قلوبهم حتى لا يكادوا

يشعرون بقبح منظرها أو يتفكروا في سوء عاقبتها . ومن
أثر هذا ان يقبل عليهم الحق بنوره الساطع ووجهه الجميل
فتجفل منه طباعهم وتجنفوه أذواقهم لأول ما يشرف عليها
ومن أثر السكوت عن بيان الحق والدعوة اليه أن
نبئت هذه الفئة التي تحاول القضاء على الآداب الفاضلة
والنظم الحكيمة ، وتهذي باسم الجديد والقديم وأنصار
الجديد وأنصار القديم ، وبلغت باخلاصها للقوة التي يعد
الاخلاص لها جريمة أن أخذت تدفع بعض أذنانها الى
ايداء الامة بتضليل ابنائها والطعن في شريعتها ، يفعلون هذا
وهم يعلمون مافيه من تمزيق رابطة الالفه وصدع بناء
الوحدة ، يفعلون هذا وهم يعلمون انهم سيدشغبون أفكاراً
وأقلاماً تعمل على اصلاح شؤون الامة وتجاهد في سبيل
خلاصها ، كأنهم يبتغون منها أن تنصرف عن هذه الغاية
السامية وتقضى الزمن في جدالهم وكشف اللثام عن بنات
جهلهم ومواقع أهوائهم ، وهذا ماوقع والى الله المشتكى

واذا كان ضرر هذه الفئة على الحياة السياسية يساوي
ضررها على الحياة الادبية فان تقويمها وحماية الشعوب من
وبائها لا يجب على رجال الدين خاصة ، بل هو حق على كل
من يغار على الادب والنظام واطلاق الشعوب من قيود
الاستعباد



الفصل الثالث عشر

ما يدعى الى اصلاح

يجري الانسان في أعماله على وفق ما يريد من أوضاعها
وهيئاتها ، وللارادة صلة بالعقائد تصفو لهفتاتها ونخبث لخبثها
فالايمان بيوم البعث والجزاء تنشأ عنه ارادة فعل الخير ،
كالاتصار للمظلوم أو ايشار ذي الحاجة ، دون انتظار جزاء أو
شكور في هذه الحياة . والجحود بعلام الغيوب انما يكون
مثار الارادات الذميمة ويزين لصاحبه أن يعقد نيته على
ارتكاب الفحشاء والمنكر ان لم يكن علنا فمن وراء ستار ،
فاذا زاغت العقائد كانت أعمال صاحبها بمنزلة من يرمي عن
قوس معوجة أو يضرب برمح غير مستقيم
واذا كان في الانايب حيف

وقع الطيش في صدور الصعاد

إذا يجب على الداعي أن يوجه عنايته الى محو المزايم
الباطلة وربط قلوب الناس بالاعتقاد الصحيح

وللطباع الراسخة أثر في المسابقة الى الاعمال أو
التباطوء عنها ، كسجية الكرم تنهض بالامة الى انشاء
الجمعيات العلمية وتبسط أيديهم بالبذل في سبيل المشروعات
الخيرية

ومما ينبهك على أن للاخلاق ساطانا على الارادة
انك ترى المسلم يعتقد بفريضة الزكاة ويقرأ ما يناله في تركها
من عذاب ، ثم لا يكون منه الا أن يقبض يده عن قضاء
واجبها . مطاوعة لداعية الشح وايثارا للذة العاجلة على السمادة
الباقية . واذا كانت السجايا . ميسرة للاعمال ومساعدة على
صدورها بسهولة دخل في وظيفة المصالح الدعوة الى نبذ
الاخلاق السافلة والتحلي بالاخلاق الفاضلة

واصلاح الاخلاق بالمقالات العامة نافع ، وأقرب
الوسائل في تربيتها أن يركبها المصالح في طبيعة كل شخص
بعمينه ، فكثير من الناس يتعلم الاخلاق الحميدة ولا يشعر
بانه عار من حليتها ، وقد يدرك حقيقة الخلق الحسن
وحقيقة ضده نظريا وتشابهه عليه صورهما في الواقع فلا

يكاد يفرق بينهما

وفي الناس من عدّ التواضع ذلة

وعدّ اعتزاز النفس من جهله كبرا

ومن هنا كانت تربية الابوين الصالحين أرسخ أثراً

من الادب الذي يتلقاه الناشئ من الدرس أو الكتاب

وكان المصطفى صلوات الله عليه يرشد الى مكارم

الاخلاق بالحكمة العامة، ويتولى تربية الافراد على وجه

خاص، فكثيراً ما نرى في الاحاديث الواردة في الحث على

الخلق الجميل ما يصرف الخطاب به الى شخص بعينه كقوله

عليه السلام لمعاذ بن جبل « أحسن خلقك للناس » وقوله

لجارية بن قدامة « لا تغضب »

ثم ان العمل لا يكون حسناً في نفسه الا أن يسير به

صاحبه في سنة الله ويقتدي فيه على آثار حكمته البالغة،

فكان من شرط المصالح درس كتاب الله وسيرة رسوله

الاعظم ليكون على بصيرة من الاعمال التي يدعو الناس اليها.

وقد ترمى على مقام الدعوة نقر لا يدرون ما الحكمة ولا

يفرقون بين السيرة القيمة والسيرة الضالة ، فلطخوا النفوس
 بارجاس تكاد تشبه هذه الارجاس التي تسيل من أفواه طائفة
 يسمون أنفسهم المجددين

وحيث كانت الأمة تفتقر في بقائها وطيب حياتها
 وحماية دمارها الى وسائل شتى ، كالصنائع والعلوم النظرية
 - من نحو الطبيعيات والرياضيات - أصبحت هذه الوسائل
 من قبيل ما تجب الدعوة اليه ، كما صرح بذلك أبو اسحاق
 الشاطبي وغيره من الراسخين في العلم ، فان عظم
 مصلحتها والخطر الذي ينشأ عن اهمالها دليل واضح على
 أنها داخلة فيما تأمرنا بحكمة الله بالمسابقة اليه ولكن الاسلام
 لم يفتح العيون في كل موضع من مواضع اصلاحها ، وما أعطى
 لتفاصيلها قواعد كما فعل في قسم العبادات والمعاملات
 والجنايات ، وانما أرشد اليها في كثير من أوامره كقوله تعالى
 « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ثم فوض
 استنباطها واختيار ما هو الاصلح منها الى الفطر السليمة
 والعقول الراجعة كما قال المصطفى صلوات الله عليه في واقعة

تأثير النخل « أنتم أعلم بأمور دنياكم » فان تميز النافع والضار
في مثل هذا لا يكاد يفوت مداركهم أو يضيق عنه طوق
عقولهم

وقد يسبق غير العارفين بأدب الشرع الى بعض نظم
مدنية أو فنون حيوية ، فلا حرج على اخوان الاسلام أن
يحاكوا غير المسلمين ويعملوا على مثالهم فيما يحسن في نظرهم
من هذه النظم أو الفنون ، فان احجنا منا عن أخذ ما بأيدي
المخالفين من المعارف والنظم المفيدة في هذه الحياة يفضى بنا
- كما قال أبو حامد الغزالي - الى أن نحرم من كل صالح
سبقونا اليه

فمن واجب دعاة الاصلاح أن يجمدوا البحث عن
أحوال الأمم الاخرى لعلمهم يقتبسون منها ما يليق بحياة أمتهم
كما يتعين عليهم أن يعرفوا أسباب ارتقاء الشعوب وعلل
سقوطها ليستعينوا بها في ضرب الامثلة ويؤيدوا بها صواب
ما تهديهم اليه البصيرة الخالصة

واذا استبان لنا أن وجوه الاصلاح كثيرة وأن الدعوة

لا تنهض بالامة الا أن تأتي على كل علة فتصف دواءها ،
أدر كناشدة الحاجة الى أن يكون المتصدى للدعوة جماعة مؤلفة
من رجال رسخوا في علوم الشريعة وألموا بالعلوم العمرانية
والشؤون المدنية ، يجتمعون فيبحثون ويسرون تحت راية
الاخلاص والانصاف ، ولو تقارب ما بين من درسوا علوم
الاسلام ومن درسوا العلوم الاخرى من المؤمنين وتعاونوا
على الدعوة لا قاموها على وجهها المتين وشادوا من قوة ايمان
الامة وشرف أخلاقها وسعة معارفها وشدة عزمها حصونا
تساقط دونها مكاييد عدوها خاسئة » وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم ، ولئيمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمنا »



فهرس

صفحة

٣ خطبة الكتاب

٤ مقدمة

٥ الفصل الاول : الحاجة الى الدعوة

١٠ » الثاني : الدعوة في نظر الاسلام

١٧ » الثالث : المبادرة الى الدعوة

١٩ » الرابع : التعاضد على الدعوة

٢٤ » الخامس : من الذي يقوم بالدعوة ؟

٣١ » السادس : الاخلاص في الدعوة

٣٨ » السابع : طرق الدعوة

٤١ » الثامن : أدب الدعوة

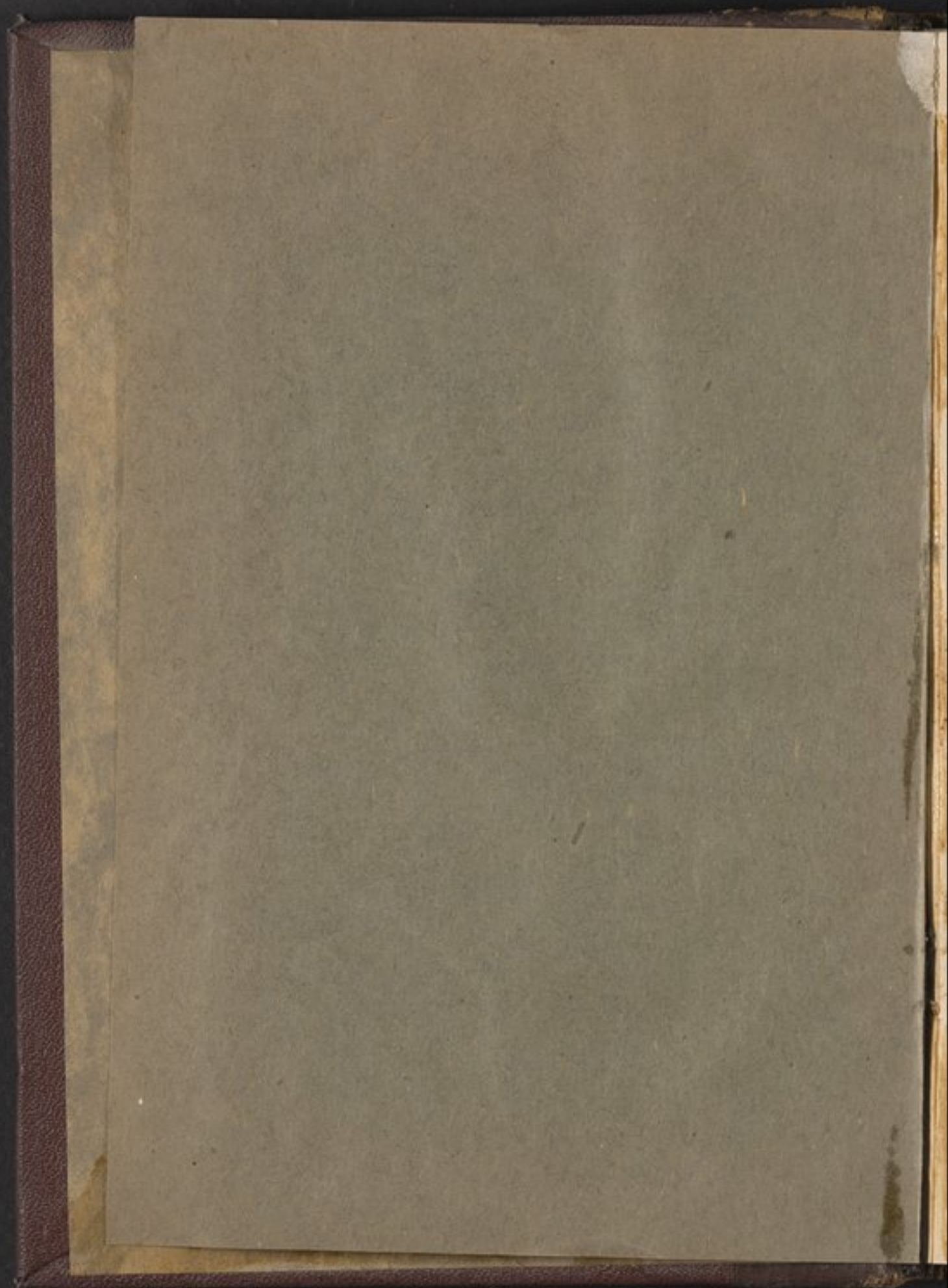
٤٧ » التاسع : سياسة الدعوة

٥٧ » العاشر : الاذن في السكوت عن الدعوة

٦٣ » الحادي عشر : علل اهمال الدعوة

٧٣ » الثاني عشر : آثار السكوت عن الدعوة

٧٨ » الثالث عشر : ما يُدعى الى الاصلاح



JUN 27 1927

BP
160
H95x
1927

The American University in Cairo
Library

November 03, 1982



0 0 0 0 0 2 6 9 2 6 2

